دور القائم بالاتصال في الحفاظ على التوازن الروحي والانسجام العقدي في المجتمعات الإسلامية.

د/ زبيدة الطيب: أستاذ محاضر أ

كلية أصول الدين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-الجزائر.

الملتقى الدولي السابع حول التصوف: التربية الروحية وتحديات العولمة

تنظيم: وزارة الشؤون الدينية والأوقاف والمركز الجامعي أحمد زبانة غيليزان

بتاريخ: 19-20 مارس 2019

الملخص

في ظل مظاهر الفتن والحروب وحالات الكراهية التي تكاد تعم المجتمعات الإسلامية، وبالنظر إلى غنى الموروث الروحي أوَّلاً وإمكانات الاتصال التي يمتلكها القائم بالاتصال ثانيا يجدر بنا أن نتساءل عن موقع هذا الأخير. **وأي دور يرتسم له؛ أي هل يمكن المراهنة على القائم بالاتصال في إنتاج أو صناعة خطاب إعلامي يخاطب الروح ويتجاوز المذهب والطائفة ويراعي التنوع ويحافظ عليه ويدافع عنه، ويحد من اختطافه من قبل جهات تروم خلق وتعميق حالات التشظي والانهيار بدل الانسجام والبناء والحوار؟** ذلك هو السؤال الذي يشكل محور الإشكالية؛ التي نهدف إلى الإجابة عنها من خلال المداخلة التي اخترنا أن يكون عنوانها: **دور القائم بالاتصال في الحفاظ على التوازن الروحي والانسجام العقدي في المجتمعات الإسلامية.**

summary

In light of strife, wars, and cases of hatred that almost prevail in Islamic societies, and given the rich spiritual heritage first and the communication capabilities possessed by the communicator second, it is worth asking about the location of the latter. and what role he is drawn to; That is, is it possible to bet on the communicator in the production or industry of a media discourse that addresses the spirit and transcends sect and sect and takes into account diversity, preserves and defends it, and limits its hijacking by parties that seek to create

and deepen cases of fragmentation and collapse instead of harmony, construction and dialogue? That is the question that forms the center of the problem. Which we aim to answer through the intervention that we have chosen to be entitled: The role of the communicator in maintaining spiritual balance and doctrinal harmony in Islamic societies.

مقدمة:

يعد القائم بالاتصال فاعلا حقيقيا في العملية الاتصالية؛ بوصفه من يمتلك القدرة على التأثير بشكل أو بآخر في الأفكار والآراء، سواء كان فردا أو مجموعة. وهو وسيط كما تقول المدرسة الفرنسية؛ بوصفه معنيا مباشرة بالبحث عن المعلومة، واختيار مضمون الرسالة التي يروم توجيهها إلى الجمهور، وهو بذلك يلعب دور تفاوضيا بين صانع المعلومة (المصدر) والجمهور(المتلقي). ما يعني أن القائم بالاتصال يقبض على عنصرين هامين: وهما صناعة المعلومة، والقدرة على التأثير.

وصانع المعلومة(أي القائم بالاتصال) وجمهوره في المجتمعات العربية والإسلامية؛ كلاهما ينتمي إلى مجتمعات، والجزائر جزء منها، متنوعة من حيث العناصر الدينية والثقافية والعرقية والمذهبية والطائفية التي تشكلها، والتي باتت مادة جاهزة لإثارة الفتن والحروب. وتمتلك، في الوقت نفسه مخزونا روحيا قادرا على محاصرة خطاب الفتنة والكراهية والتضييق عليه، بل والارتقاء بتلك الحالة إلى مستوى يتحول فيه الصراع إلى ظاهرة صحية.

وفي ظل هذا الوضع الموبوء بالفتن والحروب، وبالنظر إلى غنى الموروث الروحي أوَّلاً وإمكانات الاتصال التي يمتلكها القائم بالاتصال ثانيا يجدر بنا أن نتساءل عن موقع هذا الأخير. **وأي دور يرتسم له؛ أي هل يمكن المراهنة على القائم بالاتصال في إنتاج أو صناعة خطاب إعلامي يخاطب الروح ويتجاوز المذهب والطائفة ويراعي التنوع ويحافظ عليه ويدافع عنه، وبالتالي يحد من اختطافه(أي التنوع) من قبل جهات تروم خلق وتعميق حالات التشظي والانهيار بدل الانسجام والبناء والحوار؟** ذلك هو السؤال الذي يشكل محور الإشكالية؛ التي نهدف إلى الإجابة عنها من خلال المداخلة التي اخترنا أن يكون عنوانها: **دور القائم بالاتصال في الحفاظ على التوازن الروحي والانسجام العقدي في المجتمعات الإسلامية.**

إن مقاربة تلك الإشكالية سيكون من خلال شقين؛ أحدهما عقدي والثاني إعلامي. فأما الشق العقدي فيتضمن توصيفا لحالة المجتمعات الإسلامية؛ التي يميزها العنف والانغلاق وضمور الروح والباحثة عن مداخل لإنقاذها، وأما الشق الإعلامي فيتضمن بحثا في الدور

الذي يمكن أن يقدمه القائم بالاتصال بوصفه أحد الأطراف التي يقع عليها التعويل في المساهمة في إنقاذ هذه المجتمعات.

أولا- التوازن الروحي والانسجام العقدي في المجتمعات الإسلامية :

التوازن الروحي والانسجام العقدي تعبيران يعكسان مشهدا مناقضا لحالة المجتمعات الإسلامية التي يميزها العنف والحروب والاقتتال وقسوة القلوب وموت الروح؛ ونعني بالتوازن الروحي تلك الحالة التي تجعل الإنسان في وضع تتعايش فيه مطالب الروح مع مطالب المادة؛ فلا تطغى إحداهما على الأخرى ولا تتراجع الأولى عن الثانية بل لا يظهر دور الروح إلا إذا تم تلبية الحاجة المادية، ولا تؤتي المادة أكلها في غياب الروح.

وقد حرص القرآن الكريم على ضرورة أن تتوجه تلبية الحاجات الروحية والمادية للإنسان بحكم طبيعة الخلق التي يتقاسمها التراب والروح كما في قوله تعالى:" الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين(7) ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين(8) ثم سواه ونفخ فيه من روحه(9)..." **السجدة/ 7-9** ، وتعد السنة النبوية الشريفة تطبيقات عملية لتلك التعاليم الواردة في القرآن، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام:[أما أنا فأصلي وأرقد وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني...][1] وقوله:[حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة في الصلاة] [2]وغيرها...

وبالرغم من غنى المخزون الإسلامي في هذا المجال؛ إلا أن النظرة الموضوعية إلى الحالة العامة للمسلمين يلحظ فقدانا رهيبا للتواصل مع الروح وإهمالا كبيرا للحاجة الروحية يتبدى في ظواهر اجتماعية كالانتحار والهروب نحو المسكرات والمخدرات والرقص الهستيري... ويعكسه نزوع نحو ممارسات شعوذة وروحانيات لا علاقة لها بالدين، بل هي تقتل الدين والروح معا، كما تعكسه حالات التوجه نحو العنف والتعصب والانغلاق داخل الطائفة والمذهب والرأي. ولنا أن نتساءل في هذا المجال: ما أسباب هذه الظاهرة؟

من الإنصاف أن نذكر بأن الظاهرة ليست طارئة على المجتمعات الإسلامية أولا، وليس لها سبب واحد يمكن ردها إليه ثانيا. بل إنها لم تنفك يوما عن المجتمعات الإسلامية، لكنها تتفاوت من حيث شيوعها وانتشارها في وقت وفي مواضع وضمورها وضعف انتشارها في أوقات وأماكن ومواضع أخرى. وفي هذا المقام نذكر الأدوار السلبية للإرث الكلامي للطوائف والفرق الكلامية، والتي باتت تشكل أحد أهم المصادر التي تتغذى منها حالات التعصب ونفي المخالف وضمور الروح اليوم.

ثانيا - الآراء الكلامية... اعتقال للروح وسَجن داخل الطائفة والمذهب والرأي:

---

[1] / محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، دار ابن كثير ، 1993، ج5، ص1949.

[2] / النسائي ، السنن الصغرى، ط1، كتاب: عشرة النساء، باب: حب النساء، المملكة السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية ، 1999، ص469، رقم الحديث: 3391.

ثمة جملة من المآخذ ما فتئ المختصون والباحثون يسجلونها بخصوص علم الكلام في صورته النهائية التي انتهى إليها على يد الأشاعرة أو في صورته التي عرف بها عند الفرق الإسلامية والتي أوصلته إلى المستوى الذي بات فيه مصدرا تستل منه التعصبات وآلة لقتل الروح بالرغم من الإيجابيات التي تذكر له ومنها:

1/ الدفاع عن العقيدة الإسلامية، والذي تعكسه مختلف التعريفات التي أعطيت له؛ فالفارابي يعرفه بالقول: "... علم الكلام صناعة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرّح بها واضع الملّة وتزييف كلّ ما خالفها بالأقاويل." [1] والإيجي يعرفه بالقول:" هو علم يقتدر معه على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه، والمراد بالعقائد ما يقصد به نفس الاعتقاد دون العمل، وبالدينية المنسوبة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الخصم وإن خطأناه لا نخرجه من علماء الكلام"[2]

2/ توسيع دائرة البحث وإثراء الفكر الإسلامي وقبول الرأي الآخر؛ حيث تشكل تلك الفهوم والتفسيرات "... مهمازا حقيقيا تتجلى فيه اعتراف الاجتماع الإسلامي بالغيرية الثقافية رغم الاختلاف العقائدي والديني." [3]

3/ مثل أحد وجوه الفلسفة الإسلامية الأصيلة فهو "... يمثل الجانب الأوفر في التراث الإسلامي من حيث الكم. كما أن موضوعاته لا تخرج عن المباحث التقليدية للفلسفة : الوجود المعرفة و القيم..."[4] وهو بذلك يمثل تراثا فكريا زاخرا اضطلع بوظائف معرفية وحضارية.

وتتمثل تلك المآخذ في:

1/ تجاوز علم الكلام للحاجات الروحية للإنسان والإيغال في التجريد العقلاني، وهو المأخذ الذي أفرغ العقيدة من أبعادها الإنسانية والأخلاقية والروحية وأحالها جملة من القضايا التجريدية البعيدة عن الواقع والتي عجزت في نهاية المطاف عن إشباع الحاجات الروحية للإنسان حتى أن بعضهم رد ظهور التصوف كرد فعل على انتشار ثقافة هجرت الروح وأسكتت صوت الحب؛ "... فعلم الكلام القديم لا يهتم بالروحِ والقلب، ولا ينفكّ عن إغراقِ عقلِ المسلم بجدالاتٍ ومحاججاتٍ ذهنيةٍ تجريدية."[5]

2/ تحوله من الدفاع عن العقيدة إلى الدفاع عن المذهب، حيث استعاض المسلمون بالمذهب عن العقيدة وبات شغل المتكلم الشاغل هو استعراض مهاراته في بناء الأدلة وتخريجها وإتقان المناظرة والجدل بغرض الإطاحة بالخصم وآرائه وفهومه الخاصة؛ ما جعله "...

---

[1] / أبو نصر محمد الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان محمد علي، دط، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1931، ص 71.

[2] / عضد الدين الإيجي، المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط1، بيروت، دار الجيل، 1997، ص31.

[3] / عبد الواحد العلمي، الآخر في الخطاب الإسلامي في الغرب: من الغيرية إلى المواطن، http://www.almultaka.org/site.php?id=425

[4] / ساعد خميسي، مفهوم علم الكلام عند الفارابي، أنسانيات : المجلة الجزائرية في الأنتروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، https://journals.openedition.org/insaniyat/7991

[5] / عبد الجبار الرفاعي،علم الكلام والحياة الروحية، http://thaqafat.com/2018/02/87245

مجرد ترف فكري لا فائدة منه ولم تستسغه النخب الجديدة حيث لم يعد قادرا على معالجة الإشكالات المعرفية الحديثة." [1]

وهكذا بات علم الكلام ومجمل الآراء الكلامية معتقلا للروح وسِجنا للعقل داخل الطائفة والمذهب والرأي. ومن هذا المنطلق وجدنا بعض المحاولات التجديدية التي طالت علم الكلام والموروث الكلامي لمختلف الفرق الكلامية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر والمستمرة إلى اليوم... بعد أن تحولت تلك الآراء إلى مادة تتغذى منها التنظيمات والجماعات المسلحة، وتستل منها بلدان وحكومات وشخصيات مقولات وأفكار لتدعم عداوتها وخصومتها، وتتخذ منها براهين وحجج تؤسس بها لحالات انغلاق ونفي للمخالف من داخل الملة وخارجها، ومادة تستفيد منه قوى الهيمنة العالمية اليوم لتضع يدها على مقدرات الأمة وترتهنها لمصالحها ورغباتها.

ثالثا- تجديد علم الكلام وآراء الفرق والطوائف الكلامية اليوم ...رهانات الروح وتحديات الانفتاح

في ضوء انتشار الآراء الكلامية والفرق والمذاهب بحمولتها الطائفية والمذهبية وبضيق أفقها الإنساني وظمئها الروحي، كيف يمكن للفكر الإسلامي اليوم أن يتجاوز هذا الإرث لينتقل إلى فضاء تتناغم فيه الأفكار وتتلاقى فيه الآراء وتتعانق فيه الروح مع بارئها لتسمع صوت الرحمة وتتكلم لغة الحب من دون أن تحجر على المخالف رأيه أو فهمه للعقيدة؟

لقد ظهرت بوادر التجديد في علم الكلام في الاتجاه الذي يخلصه من هذا الواقع منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ أي منذ بداية النهضة حيث اعتبرت رسالة الرد على الدهريين لجمال الدين الأفغاني أولى المحاولات التي طمعت في إعادة الإنسان إلى ربه عز وجل بعد موجة الإلحاد التي صاحبت الفكر الوضعي في النهضة الأوروبية، كما اعتبرت رسالة التوحيد لتلميذه محمد عبده محاولة للفكاك من تعقيدات وتجريدات علم الكلام القديم.

غير أن أقرب المحاولات التي وصلتنا كانت في رسائل النور لصاحبها محمد سعيد النورسي التي عكست غربة الروح في عالم لم يعد يتقن إلا لغة المادة والجري وراء الجسد ورغباته اللامتناهية. كما يمكن أن نعتبر كتب محمد الغزالي حول " عقيدة المسلم" و" خلق المسلم" وكتاب " العقائد " و" إسلامنا" لسيد سابق وكبرى اليقينيات الكونية لمحمد سعيد رمضان البوطي وغير ذلك... مثالا على إدراك الكثير من العلماء والمفكرين إفلاس علم الكلام والآراء الكلامية في صورتها القديمة وعجزها عن تقديم بديل للفكر الغربي المادي الآخذ في اجتياح المجتمعات الإسلامية آنذاك.

أما اليوم فقد حرصت الأفكار الداعية إلى تجديد علم الكلام والآراء الكلامية على الذهاب إلى المستوى الذي يُمَكِّنها من الفكاك من أسر الطائفة والمذهب؛ لتلتحم بالروح

[1] / النيفر حميدة، النص الديني والتراث الإسلامي: قراءة نقدية، ط1، دار الهادي، 2004، ص14.

وبالإنسان وأفقه الرحب ولتستوعب إشكالاته ورهاناته ومآسيه وآلامه وجراحه ومعاناته في كل مجالات الحياة، الإنسان الذي لا يزال يتطلع إلى الإسلام دين الإنسان الذي جاء به كل الأنبياء، ونطقت به ألسنة جميع الرسل؛ فقد قال تعالى:" قولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ **وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"[البقرة/ 16]**

وربما أسعف التصوف الداعين إلى تجديد علم الكلام والآراء الكلامية وتنقيتها من هدر الروح ومقولات التعصب في إطار ما يصطلح عليه اليوم بالتكامل المعرفي بين العلوم؛ ونقصد هنا التكامل بين علمي الكلام والتصوف. غير أن السؤال المطروح لماذا التوجه نحو التصوف على وجه التحديد؟ ما الإمكانات التي يستبطنها التصوف ليجيب على سؤال الروح ويمنع التعصب؟

رابعا- علم التصوف... والإمكانات التحويلية : يذهب الدارسون والمختصون في علم التصوف إلى تقسيمه إلى قسمين:

- التصوف السني أو العملي:

وهذا الضرب لا يعارضه عموم المسلمين من أهل السنة، ويرونه قد تجسد في حياة الرعيل الأول من الصحابة والتابعين، وقد نعته ابن خلدون بالمحمود، وعرفه بالقول: "... هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة."[1]

وهو، بهذا المعنى، يتوافق مع ما يمتاز به الإنسان من انتماء متردد بين العالم الطبيعي والعالم فوق الطبيعي؛ فالإنسان بما لديه من لطيفة ربانية وهي النفس يتشوف وينزع إلى عالم الغيب عن طريق الرؤيا أو الحدس أو الوحي. فهو بطبيعته متصوف، والسبب في تأخر ظهور التصوف في السلف إنما كان بسبب قرب الأنوار النبوية ولم تكن النفوس بحاجة إلى جهد إضافي لكي تصفو. ومع ظهور البدع والاختلاف جاء التصوف كرد فعل لنفوس تسعى إلى إنقاذ صفائها.[2]

-التصوف النظري أو الفلسفي:

وقد كان ظهوره في العالم الإسلامي في القرن الثاني الهجري إبان الدولة العباسية مع اختلاط مجموعة من الشعوب والأجناس مع العرب المسلمين[3] ويعرف بأنه ذلك اللون من

---

[1] / ابن خلدون، المقدمة، ضبط المتن ووضع الحواشي الأستاذ: خليل شحادة، مراجعة: الدكتور: سهيل زكار، دط، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2001، ص467.

[2] / علم الكلام الخلدوني، محمد زاهد جول، http://almultaka.org/site.php?id=825

[3] / أنظر: أحمد أمين، ظهر الإسلام، ط5، بيروت، دار الكتاب العربي، 1969، ج2، ص150-151

التصوف الذي يعمد أصحابه إلى مزج أذواقهم الصوفية بأنظارهم العقلية؛ مستخدمين في التعبير عنه مصطلحا فلسفيا."[1]

إننا لا نقصد اختزال التصوف في أحد التقسيمين من أجل النظر في أي القسمين يقع عليه التعويل، بقدر ما نسعى إلى البحث في إمكانات التصوف كرؤية للإنسان يمكن أن تسعف علم الكلام الباحث عن وضع جديد للإنسان بعد ما جرى تجاوزه وتغييبه في علم الكلام القديم، وضع لا يبتعد عما جاء به القرآن الكريم وورد في سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

- فالتصوف ظاهرة روحية تنصرف إلى مخاطبة الروح وتدعو إلى محبة الإنسان واحترامه بصرف النظر عن اللون والوطن والديانة والمذهب والطائفة؛ ومن ثمة هي تعين على تجاوز الرأي أو النظرة أو الفهم أو التفسير أو القراءة الخاصة، وتتيح الفرصة لتعدد القراءات. ولأنه يخاطب الروح فقد كان الإنسان قبل المذهب وقبل الطائفة واللون وما إلى ذلك... ومنزلته تتحدد بقدر ما تعطيه الروح من الحب والسلام والأمن للإنسان والطبيعة والكون.

- والتصوف نمط سلوكي وقيم أخلاقية تؤمن بالاختلاف والتعدد وتؤصله عقيدة وسلوكًا وتقبل المخالف وتعترف بشرعية وجوده، وهو بذلك قادر على صناعة مجتمع أو مجموعات متصالحة مع ذاتها تنبذ التعصب في وقت تعالت فيه أصوات العنف بكل أشكاله والكراهية انتصارا للطائفة والرأي والمذهب. وهو بذلك قادر على توفير مساحة كبيرة وفضاء واسع للمسلم من أجل فهم الآخر وتفهمه، وإنقاذه من التفكير الإقصائي أو السلبي تجاهه سواء داخل الملة الواحدة أو من خارجها، ومن ثمة إعطائه الحق في الاختلاف تبعا لطبيعة الخلق التي خلق وفطر عليها. يقول المفكر المغربي طه عبد الرحمن:"... ليس من شك أنه فكر الواحد قد يختلف من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام حتى كأنه أفراد كثيرون. وأن الجماعة الواحدة قد يختلف أفرادها في أفكارهم بصدد الشيء الواحد في الظرف الواحد حتى كأنهم ليسوا نفرا واحدا. وعليه فإن المجتمع الواحد قد تختلف أفكار الجماعات فيه بصدد الشيء الواحد في الظرف الواحد كما لو أنه مكون من مجتمعات كثيرة. وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة إلى الفرد والجماعة والمجتمع فما الظن بالعالم الذي هو حشد من المجتمعات المختلفة."[2] فالأخلاق في التصور الصوفي هي روح التشريعات والأحكام الاعتقادية والعملية الناظمة لحياة المسلمين، وإذا خلت حياتهم من الأخلاق باتت صورا وأجسادا لا روح فيها. فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:" وإنك لعلى خلق عظيم."**[القلم/04]** وقوله عليه الصلاة والسلام:[إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق] [3]

- والتصوف كرؤية فلسفية باطنية تدعو إلى تحرر الإنسان وانعتاقه ولا تعترف إلا بموجود واحد، ولا تقوى الملذات والشهوات المختلفة على قهره أو مداراته وتسعى إلى التعلق الدائم

---

[1] / التصوف الفلسفي، 11أكتوبر، 2012 http://taufiqbboy.blogspot.com/

[2] / طه عبد الرحمن، الحق الإسلامي في الاختلاف،بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2005، ص134.

[3] / أنظر: أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط3، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دت، ص16

بالله تعالى من شأنه أن يعين الإنسان على أن يمتلك رؤية ذاتية لا تستطيع الطائفة أو المذهب أن تحتويه أو تمتلكه أو تستعبده. وفي الوقت نفسه قادر على تذويب مختلف العناوين الطائفية والمذهبية التي ينبني عليها التعصب لينتصر لحرية الإنسان ورغبته في الحب والسلام والأمن. ومن ثم إنقاذه من حالة الاختناق الطائفي والمذهبي وحتى الوجودي الذي تفرضه مختلف الحركات الدينية والفلسفية سواء في العالم الإسلامي أو الغربي.

- وهو كرؤية جمالية يمتلك القدرة على عبور الطائفة والمذهب وغير ذلك من المحددات ليتوغل داخل النفس الإنسانية ويكتشف جمالها وبهاءها النوراني؛ فتلك المحددات لا تظهر في الإنسان إلا صورا بشعة مليئة بالتعصب والكراهية وحب الذات. فالجمال، وإن كان معشوقا لدى الإنسان بالفطرة، إلا أنه عند القوم غير معشوق لذاته بل له وظيفة إنسانية وتربوية؛ بوصفه"... لغة مشتركة بين جميع أفراد الأسرة الإنسانية، وبهذا يمكن أن تكون لغة الجمال والنظر الجمالي جسرا للتواصل الإنساني، ذلك أن العقلاء مشتركون في النظر الإجمالي للجمال وإن اختلفوا في وظائف النظر الجمالي.."[1]

إن ما سبق بيانه يظهر للقارئ أن التصوف يمتلك إمكانات وعناصر تحويلية هائلة؛ يحسن استثمارها في تعزيز الرؤية الكلامية بخصوص علاقة المسلم بالآخر المخالف له في العقيدة أو الطائفة أو المذهب أو غيرها... ويستبطن مضامين قادرة على اعتبار الروح وتفكيك بنى التعصب.

غير أن ما نريد البحث فيه وبلوغه، هو ضرورة أن تظهر آثار التكامل بين العلمين في واقع المسلمين أي تفعيل التكامل بين علمي التصوف وعلم الكلام بخصوص حالات التعصب وفقدان التوازن الروحي المستشرية. وأن نصل ببحوثنا إلى مفهوم للتكامل لا ينقص من قيمة علم الكلام لمصلحة التصوف أو العكس؛ بقدر ما نريد استثمار العناصر الثاوية في هذا العلم من أجل الارتقاء بذاك من دون أن يعني ذلك التخلي عن هوية أحدهما لمصلحة الآخر، أو تصيير علم الكلام تصوفا في هذا المقام.

وهنا من المهم أن يحضر دور طرف رئيسي في تفعيل هذا التكامل وإحالته واقعا بين الناس حتى لا يبقى حبيس المدونات والمذكرات والبحوث العلمية والأكاديمية في الجامعات ومراكز البحث؛ ونعني به العامل التواصلي أو الإعلامي؛ حيث يبرز دور القائم بالاتصال. فمن هو القائم بالاتصال؟ وما الإمكانات التي يمتلكها والتي ينبغي أن يمتلكها من أجل تحقيق ذلك؟

خامسا- مفهوم القائم بالاتصال: من هو القائم بالاتصال؟

يلعب القائم بالاتصال دورا استراتيجيا في العملية الاتصالية، إذ أنه يترك بصماته في الرسالة الإعلامية ويشكلها ويصنعها وفق معايير ومقاييس وضغوط مؤسساتية، إلا أنه في آخر المطاف يكون هو المرسل وهو المسئول عما يصل للجمهور. يقول **رستون**: "الطبيب في الصحة الفيزيولوجية لمرضاه، والمحرر (القائم بالاتصال) يؤثر في الصحة الفكرية

[1] / محمد حسن عبد الحافظ، الرؤية الصوفية لجماليات الفنون، 2018 /08/22، http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=609278&r=0

لقرائه، وعلى عكس الطبيب فإن المحرر لم يطلب منه أو يسمح له بتقديم وصفة تجعل قراءه أصحاء، لكنه مثله مثل الطبيب لديه الفرصة لتسميمه. والاختلاف الرئيسي كما يتبادر لي هو أن المحرر بإمكانه أن يسمم عددا كبيرا منهم وبأسرع وقت من الطبيب."[1]

وقد تعددت اتجاهات المدارس الإعلامية المختلفة في تعريفها للقائم بالاتصال، منها اتجاه يرى أن القائم بالاتصال مؤسسات تتكامل فيها عناصر تكوين الرسالة الاتصالية، بمعنى أن القائم بالاتصال هنا ليس شخصا يمثل مصدر مضمون الرسالة الاتصالية، وإنما هو المؤسسة الاتصالية أو الإعلامية بكاملها، وهنا ترى **جيهان رشتي** التي تدعم هذا الاتجاه "أن المؤسسات الإعلامية أصبحت شبكات اتصال ضخمة تتصارع داخلها المصالح"،[2] فالأفراد فيها لا يستقلون بمصدر المعلومة ولا يملكون توجيه الرأي العام انطلاقا من كونهم أفرادا.

وهناك اتجاه يرى أن القائم بالاتصال هو جزء من البيئة والمؤسسة الاتصالية والواقع المؤسسي الذي يعمل فيه، وبالتالي إذا أردنا أن نحدده بدقة لا بد علينا أن نقوم بدراسة تحليلية لوسائل الاتصال باعتبارها مؤسسات لها منظومة اجتماعية، ودراسة دور ومراكز العاملين بها والظروف والعوامل التي تؤثر على مضمون الاتصال.

وفي اتجاه آخر ينطلق من مدى التأثير على المتلقي، ترى بعض الدراسات أن القائم بالاتصال هو كل شخص له قدرة على التأثير بشكل أو بآخر على أفكار وآراء الآخرين، حيث تكون له خلفية واسعة عن تلك الأفكار، يؤمن بها ويصدر عنها في سلوكه وتصرفاته، ويستخدم لذلك كل وسائل الإعلام والاتصال المتاحة، ومختلف الأساليب الإقناعية لتحقيق التأثير المطلوب، وذلك وفق منهج علمي وفني مدروس ومخطط له[3].

أما الاتجاه الذي ينطق من الدور في عملية الاتصال فيرى أصحابه أن القائم بالاتصال هو الشخص الذي يتولى إدارة العملية الاتصالية وتسييرها، وهنا قد يكون شخصا حقيقيا وقد يكون اعتباريا، المهم أن يتولى شؤون العملية الاتصالية ويعمل على تحقيق أغراضها بناء على قدرات وكفاءات الأداء.[4]

ولكي يخرج الباحثون من إشكالية تحديد القائم بالاتصال، لجأ **باترسون** إلى وضع تعريف عام وشامل يتضمن كل من يساهم في صنع القرار داخل المؤسسة الإعلامية، سواء بشكل مباشر أو غير مباشر، وبناء على ذلك فإن القائم بالاتصال هو: تلك الفئة التي يتعرف عليها الجمهور من خلال الكتابات الصحفية أو الإلكترونية (المدونون، مصممو المواقع الإلكترونية، البودكاست...)، أو القائمون على البرامج الإذاعية والتلفزيونية (معدو، مخرجو، ومقدمو البرامج...)[5]

---

1 محمد قيراط: قضايا إعلامية معاصرة، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص 25.
2 جيهان أحمد رشتي: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، القاهرة، دار الفكر العربي، 1995، ص 93.
3 محمد منير حجاب: نظريات الاتصال، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2010، ص 168.
4 منال هلال مزاهرة: نظريات الاتصال، عمان، دار المسيرة، 2012، ص 239.
5 محمد سعد إبراهيم: الاتجاهات الحديثة في دراسات القائم بالاتصال، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، ع04، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، 2000، ص 182.

سادسا- الشروط الواجب توفرها في القائم بالاتصال: يمكننا أن نلخصها في ثلاثة: المعرفة، الدافعية، المهارة، وقد فصلها الباحث **ديفيد برلو** في النقاط الآتية:[1]

-توافر مهارات الاتصال وهي خمس مهارات: الكتابة، التحدث، القراءة، الإنصات، القدرة على التفكير السليم لتحديد أهداف الاتصال.
-اتجاهات القائم بالاتصال نحو نفسه ونحو الموضوع ونحو المتلقي، وكلما كانت هذه الاتجاهات ايجابية زادت فعالية القائم بالاتصال.
-مستوى معرفة القائم بالاتصال وتخصصه بالموضوع الذي يعالجه يؤثر في زيادة فعاليته.
-مركز القائم بالاتصال في إطار النظام الاجتماعي والثقافي، وطبيعة الأدوار التي يؤديها، والوضع الذي يراه الناس فيه يؤثر على فعالية الاتصال.
-معرفة السياسة الإعلامية للمؤسسة التي يعمل في إطارها القائم بالاتصال.

كما حدد **ألكس تان** الشروط الواجب توفرها في القائم بالاتصال في ثلاثة هي: المصداقية، الجاذبية وقوة النفوذ أو السلطة.[2] والمتأمل في هذه الشروط يجد أنها تنطبق على القائم بالاتصال عندما يكون فردا أو شخصا معينا، وهي تنطبق بالخصوص على مقدمي البرامج التلفزيونية، فقد توصلت إحدى الدراسات الأكاديمية الجزائرية التي تناولت استخدام القائم بالاتصال للأساليب الإقناعية في الخطاب الإعلامي الديني، أن عوامل الإقناع في ذلك الخطاب قد ارتبطت بتوفر الشروط الثلاثة في مقدم البرنامج محل الدراسة، إذ قامت الباحثة بتحليل حلقات أحد البرامج الذي يقدمه الدكتور إبراهيم عدنان، وقد كان الحضور الشخصي لمقدم البرنامج عاملا مؤثرا في طبيعة المحتوى وفي نوع الأساليب الإقناعية المختارة.[3]

سابعا- المعايير المؤثرة في أداء القائم بالاتصال:

لدينا مجموعة من المعايير التي تفرض نفسها على القائم بالاتصال في أي وسيلة أو مؤسسة إعلامية، سواء كانت حكومية أو خاصة، وتؤثر تلك المعايير على أداء القائم بالاتصال وتوجهه، غير أن تلك المعايير لم تعد لها تلك السلطة والتأثير اللتان كانتا قبل عقود، والسبب في ذلك هو الإمكانيات التي أتاحتها تكنولوجيا الاتصال للقائم بالاتصال للتحرر من قيود كثيرة، بعضها قانوني (قوانين عقوبات، تشريعات إعلامية...) وبعضها معياري لا نقول أخلاقي لأن الأخلاقي يفترض الالتزام من قبل القائم بالاتصال حتى في غياب سلطة الرقيب، بينما المعياري قد لا يكون أخلاقيا وإنما وضع مجمع عليه أو حالة تفرضها ظروف معينة (سياسية، دينية/ طائفية/ مذهبية...).

غير أننا نشير إلى أن التحرر من القيود عن طريق الإعلام الجديد بما فيه من مواقع إلكترونية أو شبكات اجتماعية، لا يعد في كل الأحوال أمرا إيجابيا، ففيما يتعلق بالحفاظ على التوازن الروحي والانسجام العقدي للمجتمع، نلاحظ كمّ المضامين التي تعكس الخواء الروحي، وتدعو إلى الانحلال الأخلاقي والانغماس في الملذات والشهوات، والدعوة إلى

---

1 نجوى الفوال: القائمون بالاتصال، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة، 1992، ص 05.
2 عطا الله أحمد شاكر: إدارة المؤسسات الإعلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2011، ص 82.
3 لمزيد من التفصيل تنظر: هناء سلطاني: استخدام القائم بالاتصال للأساليب الإقناعية في الخطاب الإعلامي الديني –دراسة تحليلية لبرنامج صحوة-، مذكرة ماستر غير منشورة، تخصص اتصال وعلاقات عامة، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2016-2017.

التحرر والانعتاق المزعوم من أي مرجعية عقدية، بل أكثر من ذلك باتت دعوات الإلحاد المكشوف تجد طريقها إلى ملايين الناس في مجتمعاتنا، وغدت أصوات الاعتدال والوسطية لا تكاد تسمع وسط جعجعة الأفكار التافهة والآراء الشاذة والتصرفات المسيئة لانتمائنا العقدي وقيمنا الروحية والسلوكية. وفيما يلي نلخص أهم المعايير المؤثرة في أداء القائم بالاتصال:

أولا_ معايير المجتمع وقيمه وتقاليده: يفترض أن القائم بالاتصال يحمي الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع، ولذلك قد يضحي بالسبق الصحفي أو الإعلامي رغبة في تدعيم قيم المجتمع وتقاليده، فهو لا يقدم تغطية كاملة لبعض الأحداث ليس إغفالا أو تقصيرا منه وإنما شعورا بالمسؤولية الاجتماعية، وحفاظا على بعض الفضائل الفردية أو المجتمعية، وعندما تكون الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع مستقاة أساسا من عقيدته وقيمه الروحية، فإن مهمة القائم بالاتصال تفرض عليه واجب الحفاظ على تلك العقيدة والقيم، بتفادي نشر أو بث كل ما قد يسيء إليها، بل من الواجب التركيز على ما يحقق التوازن الروحي، ويحافظ على الانسجام العقدي وإن أدى به إلى تغطية إعلامية غير كاملة، أو إلى تفويت سبق إعلامي.[1]

ثانيا_ المعايير الذاتية للقائم بالاتصال: تلعب الخصائص والسمات الشخصية للقائم بالاتصال دورا هاما في تحديد المضمون الذي يقدمه للمتلقي، ويعد الإطار الدلالي والخبرات المختزنة للقائم بالاتصال معايير ذاتية تؤثر في أفكاره ومعتقداته، وبالتالي تؤثر حتما على ما يقدمه للآخرين، فإذا أردنا استثمار هذه المعايير في الحفاظ على التوازن الروحي والانسجام العقدي للمجتمع، لا بد أن نهتم بتكوين القائم بالاتصال، وتطعيمه في مراحل عمله المختلفة بالخبرات الضرورية التي تساعده على أداء عمله، وحيث أن فاقد الشيء لا يعطيه لن نتصور قائما بالاتصال يؤدي مهمة الحفاظ على التوازن الروحي وهو نفسه يفتقر إليه، فالتكوين المطلوب هنا هو جزء من التنشئة الاجتماعية التي ترافق القائم بالاتصال في مراحل حياته وعمله المختلفة.

ثالثا_ المعايير المهنية للقائم بالاتصال: يتعرض القائم بالاتصال إلى العديد من الضغوط المهنية التي تؤثر في عمله، والتي تؤدي إلى توافقه مع السياسة الإعلامية للمؤسسة التي ينتمي إليها، حيث تتضمن المعايير المهنية: سياسة الوسيلة، والأخبار والمعلومات المتاحة، وعلاقات العمل وضغوطه.[2]

وهنا يمكننا القول أنه من الصعوبة بمكان أن نطالب القائم بالاتصال أن يلتزم بواجب الحفاظ على التوازن الروحي والانسجام العقدي إذا كان ينتمي إلى مؤسسة إعلامية لا يعد هذا الواجب المهني والأخلاقي جزءا من سياستها الإعلامية، وتزداد تلك الصعوبة كلما كانت

---

1 فلاح سلامة حسن الصفدي: استخدام القائم بالاتصال في الصحافة الفلسطينية لشبكات التواصل الاجتماعي والإشباعات المتحققة –دراسة ميدانية في محافظات غزة-، ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، 2015، ص 25. نسخة إلكترونية متاحة على موقع: https://library.iugaza.edu.ps/thesis/117134.pdf

2 حسنين شفيق: نظريات الإعلام وتطبيقاتها في دراسات الإعلام الجديد، دار فكر وفن، القاهرة، 2012، ص 204.

سياسة الوسيلة الإعلامية متعارضة مع المرجعية الفكرية أو العقدية للمجتمع، ولهذا نجد أن بعض المؤسسات الإعلامية المعادية لتلك المرجعية تعمد إلى استدراج القائم بالاتصال – خاصة ذوي الكفاءات والخبرات الإعلامية المميزة-أو إغرائه بمكاسب مادية ومعنوية معينة ليتبع سياستها.

رابعا_ معايير الجمهور: راجت في السنوات الأخيرة مقولة "الجمهور يريد هذا" فهل تُعد هذه العبارة صادقة حقا؟ وإلى أي مدى تؤثر معايير الجمهور على أداء القائم بالاتصال؟ لقد أظهرت الدراسات ضرورة أن ترضي وسائل الإعلام جماهيرها، إذ أكد **رايموند باور** أن نوع الجمهور الذي يعتقد القائم بالاتصال أنه يخاطبه له تأثير كبير على طريقة اختيار المحتوى.[1] وهو ما يؤكد على أن القائم بالاتصال في حاجة شديدة إلى تحديد جمهوره بدقة وأن تصوره لذلك يؤثر على قراراته تأثيرا لا يمكن أن نقلل من شأنه.

بناء على تأثر المحتوى بطبيعة الجمهور المستهدف، فإن المجتمع بحاجة إلى من يوجهه نحو القضايا التي يجب عليه التركيز عليها وصولا إلى تحقيق التماسك الاجتماعي، الذي لن يتحقق إلا في ظل مناخ من الانسجام العقدي والتوازن الروحي لأفراد المجتمع.

ثامنا- النظريات الإعلامية المتعلقة بالقائم بالاتصال وعلاقتها بدوره في تحقيق التوازن الروحي والانسجام العقدي:

توصل علماء الاتصال والباحثون في الإعلام إلى وضع مجموعة من الأطر والمقاربات النظرية التي توضح دور القائم بالاتصال، وتفسر الكيفية التي يعمل بها في نطاق العملية الاتصالية، فمن نظرية حارس البوابة التي تركز على طريقة عمل القائم بالاتصال في ظل سياسة الوسيلة، وانتفاء فاعلية شروط القائم بالاتصال التي ذكرناها سابقا والمتمثلة في المعرفة والدافعية والمهارة في ظل تحكّم المؤسسة الإعلامية في المضمون، وفرضها لمجموعة من الأولويات وهو ما ركزت عليه لاحقا نظرية وضع الأجندة، ومن ثم سيادة خطاب إعلامي أحادي الرؤية والاتجاه وهو ما تركز عليه نظرية التأطير الإعلامي.

1_ نظرية حارس البوابة: تشير هذه النظرية إلى العملية التي يتم من خلالها ترشيح وانتقاء المعلومات والأفكار القابلة للنشر أو البث عبر وسائل الإعلام. وخلاصة النظرية أن المعلومات تمر بمجموعة من البوابات المتمثلة في القائم بالاتصال ذاته ورؤيته الذاتية للأحداث، ثم المؤسسة الإعلامية عبر عدد من العوامل المؤثرة في تشكيل سياستها اتجاه الأحداث، وهو ما ينتج معالجة اتصالية مختلفة بنسبة ما عن الحقيقة.[2]

نلاحظ من خلال الفكرة الرئيسية التي تركز عليها النظرية أن القائم بالاتصال قد يقدم مضمونا لا يعبر عن الحقيقة، بناء على ما تفرضه عليه سياسة المؤسسة الإعلامية، وهذا ما يبدو من خلال الكثير من المضامين المنتشرة اليوم عبر وسائل الإعلام المختلفة سواء كانت صحفا أو قنوات فضائية أو مواقع إلكترونية، حيث تستغل تلك الوسائل حالة الاحتقان المذهبي أو الطائفي وفوضى الفتاوى والآراء وواقع الخواء الروحي في تمرير معلومات

1 عطا الله أحمد شاكر، مرجع سابق، ص 83.

2 كامل خورشيد مراد: الاتصال الجماهيري والإعلام، دار المسيرة، عمان، ط02، 2014، ص 268-272.

مغلوطة أو ناقصة أو مبتورة من سياقها المعرفي والتاريخي، تجعل المتلقي في حالة من الحيرة أو من التأهب ضد الآخر، وتسهم في خلق مناخ من التعصب الطائفي والغلو المذهبي والتطرف الفكري، في المقابل بإمكان القائم بالاتصال الذي يعي دوره في نشر خطاب الاعتدال والوسطية بناء على فرضيات نظرية حارس البوابة أن يغربل ويمحص المعلومات والآراء الواجب نشرها وبثها ونقلها إلى المتلقي في صورة جذابة وبأساليب إقناعية متنوعة تخاطب عقله دون أن تهمل حاجاته الروحية، وهنا يأتي دور المؤسسة الدينية ممثلة في وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بمديرياتها المختلفة ومراكزها الإسلامية المنتشرة عبر ربوع الوطن ومساجدها وزواياها لتلعب الدور الإعلامي المنوط بها، إذ أن رسالة الإسلام هي رسالة اتصالية في جوهرها، والدور الإعلامي لا يتطلب بالضرورة وجود مؤسسات إعلامية مستقلة، وإنما يكفي أن تعي المؤسسة الدينية أهمية الإعلام فتؤسس لخطاب إعلامي معتدل عبر منابرها المختلفة بالدرجة الأولى، ثم بالتنسيق مع المؤسسات الإعلامية المستقلة عنها بدرجة ثانية، وهنا نتساءل متى ستعي المؤسسة الدينية عندنا أهمية أن يكون لها ناطق إعلامي باسمها في كل منبر من منابرها، ومتى تعيّن تلك المؤسسة مديري علاقات عامة يضطلعون بمهمة القائم بالاتصال الوسيط بين المؤسسة والمجتمع، لا ينحصر دوره في الأحداث المناسباتية والأزمات الطارئة، حيث يصبح العمل عشوائيا والقرارات اعتباطية تحت ضغط الوقت.

2_ نظرية وضع الأجندة: ويطلق عليها نظرية ترتيب الأولويات، تقوم هذه النظرية على افتراض رئيس هو أن المؤسسة الإعلامية تقوم بانتقاء الأخبار وترتيبها وإعطاء بعضها أهمية عن غيرها استنادا إلى توقعاتها بأهمية هذه الموضوعات للجمهور، وتعكس هذه النظرية قدرة وسائل الإعلام على نقل أجندتها الإعلامية إلى أجندة الجمهور العامة، حيث أن انتقاء الأخبار وتركيز القائمين بالاتصال على مواد بعينها بهدف التأثير في إدراك الجمهور لأهمية قضايا محددة هو الجوهر الحقيقي لهذه النظرية.[1]

من خلال فرضيات هذه النظرية يتضح لنا أن بإمكان القائم بالاتصال أن يحدد للجمهور أجندة من الموضوعات الروحية التي تسهم في خلق التوازن الروحي لديه وتحقيق الانسجام العقدي للمجتمع، وثمة موضوعات كثيرة ذات أبعاد روحية يمكن للقائم بالاتصال أن يركز عليها، وفق أشكال متنوعة، مع استغلال مختلف المنابر الإعلامية، والوسائل الاتصالية، فعلى سبيل المثال تلقى الحملات الإعلامية والومضات الإشهارية قبولا كبيرا لدى المتلقي إذا اعتمدت على خطط مدروسة بدقة، تحدد حاجات الجمهور الروحية والوجدانية، ومن ثم تعمل على وضع الصياغة والقالب المناسب، إذ لا يكفي أن تكون الفكرة مقبولة لابد أن يكون شكلها مقنعا.

3_ نظرية التأطير الإعلامي: ويعرف **جوفمان** الإطار الإعلامي بأنه: بناء محدد للتوقعات التي تستخدمها وسائل الإعلام لتجعل الناس أكثر إدراكا للمواقف الاجتماعية في وقت ما، فهي إذن عملية هادفة من القائم بالاتصال عندما يعيد تنظيم الرسالة حتى تصب في خانة إدراكات الناس ومؤثراتهم الاقناعية.

---

1 حسن عماد مكاوي: نظريات الإعلام، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط02، 2012، ص 190-198.

وتقوم هذه النظرية على فرضية رئيسة وهي أن وسائل الإعلام عندما تنقل الحدث فإنها تحدد الزاوية التي ينبغي أن يدرك الجمهور الحدث من خلالها، ويمكن تفصيل هذا الفرضية في مجموعة من الفرضيات على النحو الآتي: [1]

- أن كل حدث له مجموعة من الزوايا التي تحدد طبيعة إدراكه.
- أن وسائل الإعلام تركز على زاوية واحدة يتم تصديرها للجمهور بهدف تشكيل الاتجاه أو الوعي نحو الحدث.
- أن هذا الإطار يتم التحكم به وفق الاتجاهات الفكرية للوسيلة الإعلامية.
- أن هذه الأطر تتشكل في إطار مجموعة من الاعتبارات تماثل نظرية وضع الأجندة.
- أن غالبية الأطر المركبة تكون مضللة وغير واقعية وسلبية.

من خلال هذه الفرضيات يمكن القول أن السعي لتحقيق التوازن الروحي والانسجام العقدي، يمكن أن يكون إطارا إعلاميا يعمل من خلاله القائم بالاتصال على توجيه الجمهور نحو زاوية معينة، تجعله يرتبط بمجموعة من القيم الروحية، التي تتحول بالتركيز عليها عبر مضامين إعلامية متنوعة إلى اتجاه عام لدى أفراد المجتمع بأكمله.

تاسعا- معوقات في طريق الأداء الجيد للقائم بالاتصال:

ذكرنا سابقا أن مجموعة المعايير التي تتحكم في عمل القائم بالاتصال قد تحدّ من فعاليته في أداء دوره في تحقيق التوازن الروحي والحفاظ على الانسجام العقدي للمجتمع، ويمكن اعتبار بعض تلك المعايير بمثابة معيقات في طريق الأداء الجيد للقائم بالاتصال في حالة عدم الاستجابة الإيجابية لها (أي للمعايير).

وثمة معيقات واقعية منها ما يتعلق بالقائم بالاتصال نفسه ومنها ما يتعلق بالجمهور المتلقي، ففي الأولى تصادفنا المعيقات المعرفية التي ترتبط بطبيعة التكوين الذي يتلقاه القائم بالاتصال خلال مساره التعليمي أو المهني، وهو تكوين يتسم بالقصور في شقه الإعلامي وفي شقه العقدي/ التربوي الروحي، حيث نلاحظ من خلال تتبعنا للمضامين الإعلامية في هذا المجال أن القائمين عليها إما إعلاميون أكفاء يفتقرون إلى الزاد المعرفي العقدي والتربوي، وإما العكس بمعنى علماء على قدر من الكفاءة المعرفية العقدية والتربوية لكنهم يفتقرون إلى المهارات الإعلامية اللازمة لصياغة وتقديم مضمون مقنع ومؤثر.

وفي الثانية نرصد الجهل المركب كأهم معيق، والذي ينطوي على انعدام الخلفية المعرفية في أبسط مستوياتها، مع وجود أفكار مغلوطة أو اتجاهات غير منسجمة مع المرجعية العقدية، بالإضافة إلى ضعف وتراجع الحس الوطني والقومي الذي يربط المتلقي بمرجعيته، وبقيم موروثه الروحي والعقدي، بالإضافة إلى عدم إغفالنا للمعيقات الخارجية وهي ذلك النوع الخارج عن القائم بالاتصال والمتلقي، الذي يرجع إلى إستراتيجيات أجنبية تسعى للغزو الفكري والاستعمار الثقافي، بغرض إحلال قيم مادية دخيلة وتفكيك المجتمع وضرب وحدته وانسجامه.

عاشرا- تصويب الدور: كيف يصنع القائم بالاتصال خطابا متوازنا ومعتدلا؟

---

1 حسن عماد مكاوي، ليلى حسين السيد: الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط06، 2006، ص 348_350.

نرى أن تصويب الدور يتم من خلال مسارين متكاملين، الأول: تنمية وتطوير وعي القائم بالاتصال إزاء القضايا والمسائل المرتبطة بتحقيق التوازن الروحي والانسجام العقدي، عن طريق التركيز على التكوين المزدوج الذي يراعى فيه التكامل المعرفي بين علوم الإعلام ومهارات الاتصال وعلوم العقيدة والتربية الروحية، وهو ما سيترتب عنه في المستقبل جيل من الإعلاميين الأكفاء ذوي الثقافة الشرعية الأصيلة، أما المسار الثاني الموازي حاليا فهو أن يكتفي القائم بالاتصال بدور الوسيط بين مصدر المعلومة والمتلقي، وذلك بالرجوع دائما إلى ذوي الاختصاص من علماء العقيدة والشريعة، المنتمين إلى المرجعية الفكرية والعقدية للمجتمع، سواء عن طريق الاستشهاد بمصادرهم في العمل الصحفي المطبوع والإلكتروني، أو استضافتهم في البرامج الإذاعية والتلفزيونية، حتى لا تبقى الساحة شاغرة فتملأ بمن لا علم ولا فقه لهم.

خاتمة:

نخلص في هذا العرض إلى جملة من النتائج نجملها في النقاط التالية:

1/ إن المجتمعات الإسلامية تعاني اختلالا بينا في توازنها الروحي أفضى إلى حالة من الانغلاق والتعصب ونفي المخالف.

2/ إن علم الكلام ومجمل الآراء الكلامية في صورتها القديمة تعد أحد أسباب ضخ التعصب وموت الروح بالرغم من دوره الإيجابي في بداية نشأته.

3/ إن الفكر الإسلامي، ومنذ بداية النهضة، أدرك إفلاس علم الكلام، بل خطره اليوم كونه يشكل مادة لا تقوى على تلبية الحاجات الروحية للإنسان المسلم وفي الوقت نفسه مادة يتغذى منها التعصب.

4/ الحاجة ماسة اليوم إلى ضرورة صياغة وتفعيل رؤى كلامية تحترم الروح وتنفتح على المخالف.

5/ للقائم بالاتصال، الذي يؤدي دور الوسيط بين المتلقي وصانع القرار، دورا كبيرا في تفعيل تلك الرؤى وإحالتها إلى واقع معيش؛ بالنظر إلى ما يوفره له وضعه ومركزه.
6/ لا يمكن للقائم بالاتصال أن يؤدي هذا الدور على أكمل وجه إلا بتوفر شروط ينطلق منها ومعايير يحتكم إليها.

7/ هذه الشروط والمعايير تصبح أكثر إلحاحا وضرورة إذا تعلق الأمر بصناعة أو إنتاج خطاب يراعي المرجعية الحضارية للمجتمعات الإسلامية ويعمل على توفير قدر من التوازن الروحي والانسجام العقدي بين مختلف مكوناتها في هذه الظروف اليوم.

8/ من هنا يصير البحث في تكوين تتكامل فيه علوم العقيدة والكلام والفرق مع الإعلام ضرورة معرفية وحضارية وواقعية، وهو ما ينبغي أن تضطلع به المؤسسات الجامعية ومراكز البحث المتخصصة.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم
أحمد أمين: ظهر الإسلام، ط5، بيروت، دار الكتاب العربي، 1969، ج2.
الإيجي عضد الدين : المواقف، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، ط1، بيروت، دار الجيل، 1997.
البخاري محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح، دار ابن كثير، 1993، ج5.
التفتزاني أبو الوفا الغنيمي : مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط3، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، دت. حجاب محمد منير: نظريات الاتصال، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، 2010.
حسنين شفيق: نظريات الإعلام وتطبيقاتها في دراسات الإعلام الجديد، دار فكر وفن، القاهرة، 2012.
ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، ضبط المتن ووضع الحواشي الأستاذ: خليل شحادة، مراجعة: الدكتور: سهيل زكار، دط، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 2001.

خورشيد كامل مراد: الاتصال الجماهيري والإعلام، دار المسيرة، عمان، ط02، 2014
رشتي جيهان أحمد: الأسس العلمية لنظريات الإعلام، القاهرة، دار الفكر العربي، 1995.
سلطاني هناء: استخدام القائم بالاتصال للأساليب الإقناعية في الخطاب الإعلامي الديني – دراسة تحليلية لبرنامج صحوة-، مذكرة ماستر غير منشورة، تخصص اتصال وعلاقات عامة، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2016-2017.

شاكر عطا الله أحمد: إدارة المؤسسات الإعلامية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، 2011.

الصفدي فلاح سلامة حسن: استخدام القائم بالاتصال في الصحافة الفلسطينية لشبكات التواصل الاجتماعي والإشباعات المتحققة –دراسة ميدانية في محافظات غزة-، ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، 2015.
طه عبد الرحمن: الحق الإسلامي في الاختلاف،بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2005.

الفارابي أبو نصر محمد : إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان محمد علي، دط، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1931.
الفوال نجوى: القائمون بالاتصال، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة، 1992.

قيراط محمد: قضايا إعلامية معاصرة، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، 2006.
محمد سعد إبراهيم: الاتجاهات الحديثة في دراسات القائم بالاتصال، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، ع04، جامعة القاهرة، كلية الإعلام، 2000.
مزاهرة منال هلال: نظريات الاتصال، عمان، دار المسيرة، 2012.
مكاوي حسن عماد: نظريات الإعلام، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط02، 2012.
مكاوي حسن عماد ، ليلى حسين السيد: الاتصال ونظرياته المعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط06، 2006.
النسائي ، السنن الصغرى، ط1، كتاب: عشرة النساء، باب: حب النساء، المملكة السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية ، 1999.

النيفر حميدة: النص الديني والتراث الإسلامي: قراءة نقدية، ط1، دار الهادي، 2004.

المواقع الإلكترونية:

http://www.almultaka.org/site.php?id=425
https://journals.openedition.org/insaniyat/7991

http://thaqafat.com/2018/02/87245
http://almultaka.org/site.php?id=825
http://taufiqbboy.blogspot.com/

http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=609278&r=0